Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حوار الاستعارة فى « أسرار البلاغة » . وقد أصابت هذه الشعارات العامة علوم البلاغة بالجمود ، وعزلتها عن التفاعل الحى فى بناء أسلوب أدبى مؤثر ، لا نعنى فقط أنها ظلت تدور فى حلقة من الأمثلة الجزئية المعزولة ، وإنما نضيف إلى ذلك ما فرض عليها تعسفا أن تلزمه كمجال وحيد ، فالمخاطب والمتكلم هما محور علم المعانى ، وعلاقات المجاز العقلى ، وقرائن المجاز اللغوى هما محور علم البيان ، وفن الزخرفة الصوتية والمعنوية هو الأساس المفترض لعلم البديع ، وهذا تجن صريح .

من هذه البداية سنضرب صفحا عن دراسات البلاغيين بعد عبد القاهر ، ونتعرف على جهود هذا العالم ومن سبقه فى إطار الصور البيانية ، كما تصورها هذا الرعيل ، ثم نعقب على ذلك بما نراه من إضافة أنماط بلاغية أخرى حسبت على هذا العلم أو ذاك وفرضت عليها طبيعته العامة دون وجه حق .

لقد كان الشاعر القديم يستعمل البديع – بالمعنى الذى أراده ابن المعتز وفى حدود فنونه الخمسة ، بما فيها المذهب الكلامى الذى نفاه ابن المعتز عن القرآن ، واستدل عليه بشعر إسلامى [١٩] ، ولكن (حفنى شرف) يكتشف نموذجاً مطولا له فى شعر النابغة [٢٠] ، ويهمنا الآن المبدأ العام ، فأمثلة ابن المعتز تشير إلى استخدام القدماء لهذه الوجوه ، ومع هذا فإنها اعتبرت كالتوابل ، قليلها صالح وكثيرها مفسد وقد وضعت « الاستعارة » بعيدا عن الضوء على الرغم من الإشادة باستعارات امرئ القيس فى كتابات القدماء ، ونص عمود الشعر على التشبيه صراحة ، ومهد له بالإصابة فى الوصف فى حين لم يضع الاستعارة كمبدأ فى ذاته ، بل هى مبدأ مشروط بمناسبة المستعار منه للمستعار له ، بل تشرح الاستعارة وكأنها لا تختلف غاية عن التشبيه [٢١] . وفى رأينا أن الالتواء بالاستعارة لتعود إلى التشبيه هو ما يناسب الإدراك المسطح للأشياء ، ويناسب التعلق بالواقع الحسى من جانب آخر ، والعجز عن التوحد بأشياء الطبيعة ، فكأن السامع يريد دا مما أن يسمع تقريبا أو توضيحا للأشياء الغائبة أو المعانى المجردة ، بوضعها فى علاقة مشابهة بأشياء معلومة لتصير بدورها معلومة أيضا ، وليس هذا هدف الاستعارة التى قد تدفع بالشىء إلى الغموض ليحل فى موقعه من الإدراك العقلى الهادف إلى

---

(١٩) البديع ص ٥٣ .

(٢٠) البلاغة العربية ص ٨١ .

(٢١) راجع فى تفاصيل عمود الشعر : إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٤٠٤ وما بعدها .